

د. نجاح العطار في الفكر والوجود.. المعرفة والجوهر.. الروح والمادة

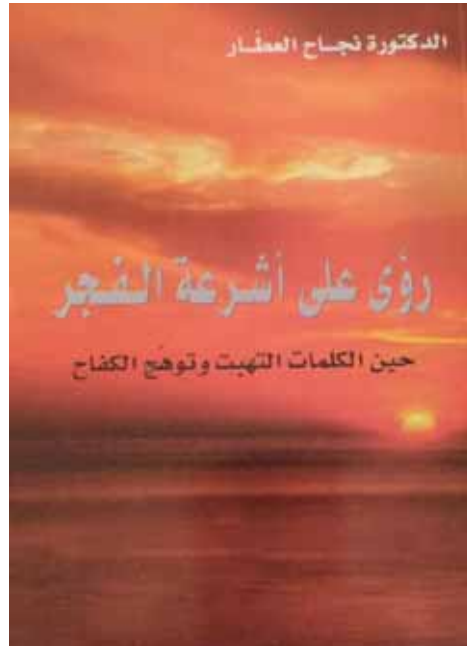
إسماعيل مروة

يتسرب إلى الحديث عن مرحلة من المراحل.. وقد أنجزت الجزء الأكبر من مشروعها الثقافي والفكري الخاص والعالم في الوقت نفسه، وكان أحدث، وليس آخر ما أنجزته كتابها الجديد (رؤى على أشعة الفجر... حين الكلمات التهمت

فاعل ومؤثر في سيرورة الحدث، فكيف إذا كان هذا الإنسان متعمقاً، ومكتفياً بباب تخصصه يخلص له ولا يتجاوز به إلى ميادين أخرى تبعث جهوده، وتجعله غير محدد المعالم، فيذهب الأثر، وتضيع الجهود هباءً!

الأستاذة الدكتور نجاح العطار المهومة بالثقافة والأدب منذ عقود عديدة، والتي حملت على عاتقها مهمة العناية بالثقافة والمتقنين منذ ما يقارب خمسة عقود، تدون رواها وقد حملتها على أشعة الفجر والأمل، وبهذا التوثيق تبعد الدكتور العطار عن الأذهان أي مجال للتأويل أو التزييد الذي من الممكن أن

تمثل الكلمات والأقوال في مراحل متعددة، سواء كانت هذه الكلمات رسمية أم غير رسمية رواهم للمرحلة التي أنجزت فيها، ومعالم للمستقبل الذي يتم التخطيط للوصول إليه، كما تمثل صورة واقعية لما تعيشه الأمة في الوقت الذي قيلت فيه، وأزعم أنها مع السيرة الذاتية تشكل سيرة علمية للأشخاص تساعد في تحديد الخطوط الدقيقة لتاريخ تلك الحقبة، وخاصة إذا كانت صادرة عن إنسان



وحده لا يشكل شعر مقاومة، المهم خلق الأبعاد المأسوية في الحدث، والإسكاف باللحظة الشعرية، إنه ثورية الشاعر يحددها نشاطه داخل حركة الفعل، داخل الجماهير، بواسطة الشعر، هذا النشاط الذي يؤثر على نشاطه داخل الشعر نفسه، وإن علينا أن نكون ثوريين في الحياة وفي الشعر معاً...

وتقدم الدكتورة نجاح العطار رأياً «إن الأدب الثوري في حقيقته وأصالته، ليس أن نخشو كتاباً بالكلمات الضخمة والشعارات الزائفة، بل أن نمتلك مفهوماً ثورياً عن العالم، ونعرف كيف نصوغ منه، وفي ضوءه، نسجياً أدبياً ثورياً، يشعل النار في غابات عدونا، ويجتث ظلمه وطغيانه من الأرض التي يعيش فيها سكاناً...» إن أهم ما يميز هذه القراءات الأدبية العالية علاوة على التحليل، الإلتحاق من رؤى ثورية ووطنية وقومية، ترتكز إلى مسلمات الشعوب وقدراتها وطاقاتها في الوصول إلى غاياتها... وقمة دراسات أخرى يضيئ المجال عن ذكرها، ولا يحسن أن تعرض تلخيصاً حتى لا يساء إلى سببها ونسجها الذي وضعت د. العطار في سياقه، وعدد من هذه الدراسات يعود إلى أربعة عقود من اليوم أو يزيد.

ولحلب البهية نشيد

إن ما ينظم الكتاب هو البحث في الرؤى والمستقبل والتعاؤل بالفجر، لذلك ختمت هذه الرؤى بما أشدته لحلب عندما عادت إلى حضن سورية، ولتنظر إلى ما اختارته من حلب وسيف دولتها ومتنبيها «ليس عجبا أن يكون شعر المتنبي فيه مناجاة للبطولة والشجاعة والمفاداة التي جسدها المثقف المنتج شاعراً معنياً بديراماً الحياة أو شارك فيها مع الروم، كما في الزمن الراهن، إخوة وجوار ما جعل المتنبي والحسرة تملأ قلبه يقول سيف الدولة: وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلي أي جانيبك تميز؟

لتختم الرؤى والقراءات من اليوم: «إنك الأمل الوضاء والقائد الفذ، وموقلت الرائعة التي تؤمن بها جميعاً، ويسعى شعبك النبيل معك، وبكل أطيافه لتحقيقها، هي أنه لا تقرب بذرة من تراب الوطن، هذا الذي سقاها شهداؤنا، أجيالنا، بالدم سخياً، واقتدوه بالروح، وبكل ما هو غل وأمين. وأنت يا حلب إن بعض مبرك من كبر قائدك وبعض مجدك من مجده ولن يصغر هذا الكبر ولن يأفل هذا المجد

صياغة كلام الأمل والفجر والإيمان بالأمة والغد، بالثقافة ودورها المؤثر الفاعل، قدمته الأستاذة الدكتورة نجاح العطار بدورها الفاعل، وإطلاعه العميق، ولغتها المشرقة التي تصل حدأ لا يداني لغة وبلاغة وبيانا... والحقيقة المنشودة غاية البيان بكل ما يجوي من إشراف... دام القلم الكلمة وإشراق اللغة.

يستطيع المحتل أن يحتل أن يقتل أن يشنق لكن إرادة الشعوب لا سبيل إليها

ومفهومها، ولكن إذا كنا ننظر إلى الثقافة والمثقف مثل هذه النظرة الإلجابية لم فقد المثقف دوره؟ لم لم يعد للثقافة من دور؟ ولماذا تحول المثقف إلى تابع محتوى استطاعت السلطات أن تحتويه بالطريقة التي تريدها، فتقول في نظر نفسه أولاً، وفي نظر المحيطين إلى ذلك الانتهازي الذي يحقق مصالحه على حساب مبادئه، ويمكن أن ينقل البندقية من كنف إلى أخرى في اللحظة التي يريدها، وفي هذا التصرف الذي بدأ من احتواء المثقف تحول المثقف إلى مكانة لا تستحق الاحترام، ولم يعد ذلك الضوء الذي ما بعده ضوء!!

إن ما تقدمه د. العطار عن الثقافة والمثقف غاية في الأهمية، لكنه يبقى في إطار تحديد الرؤية، ولكن الواقع عمل على غير ذلك، وبحسن هنا أن أشير إلى ذكاء الاختيار لكل لفظ، فالدكتورة تختار توصيف الثقافة، وتوصيف المثقف بالاستحقاق، أي من يستحق أن يكون مثقفاً، فمن إن ما تقدمه د. العطار عن الثقافة والمثقف غاية في الأهمية، لكنه يبقى في إطار تحديد الرؤية، ولكن الواقع عمل على غير ذلك، وبحسن هنا أن أشير إلى ذكاء الاختيار لكل لفظ، فالدكتورة تختار توصيف الثقافة، وتوصيف المثقف بالاستحقاق، أي من يستحق أن يكون مثقفاً، فمن إن ما تقدمه د. العطار عن الثقافة والمثقف غاية في الأهمية، لكنه يبقى في إطار تحديد الرؤية، ولكن الواقع عمل على غير ذلك، وبحسن هنا أن أشير إلى ذكاء الاختيار لكل لفظ، فالدكتورة تختار توصيف الثقافة، وتوصيف المثقف بالاستحقاق، أي من يستحق أن يكون مثقفاً، فمن إن ما تقدمه د. العطار عن الثقافة والمثقف غاية في الأهمية، لكنه يبقى في إطار تحديد الرؤية، ولكن الواقع عمل على غير ذلك، وبحسن هنا أن أشير إلى ذكاء الاختيار لكل لفظ، فالدكتورة تختار توصيف الثقافة، وتوصيف المثقف بالاستحقاق، أي من يستحق أن يكون مثقفاً، فمن

جمع صائغ ماهر

تقارب د. العطار بين تجارب الشعوب لتصل إلى الغاية المتمثلة في أدياء الأرض المحتلة، «وقام الكتاب والشعراء، ضمير هذا الشعب، ضميرنا جميعاً، بللممة أجزاء هذه الصور للمقاومة، ليصنعوا منها على صعيد الإبداع لوحة للمقاومة، ستكون بدورها مادة مقاومة على جبهة الفكر والفن ذات تأثير بالغ في الأرض المحتلة وخارجها»

ومن مفكرات الكتاب الفلسطيني تقدم نموذجاً من إميل حبيبي: «إن الكاتب يلجأ إلى الثورية، يورد أفكاره السياسية تحت غطاء عيد التنويه بحيث لا تخفى على القارئ ولا تعد متسمساً ضده... (إنني أتعشق صيد السمك، وقراءة الأدب الساخر، والحديث والخيار المحبين الخالدين، فهذا الأدب يطمئن على مستقبل الإنسان، وعلى أنه أقوى من قيود مجتمعه المتوارثة)... وبعد جولة مع حبيبي ومفكراته تأتي إلى سميع المقاسم ونشيد: «هنا ميسلون، فعوجوا جميعاً نحبي ترى ميسلون هنا استبسل العرب ضد الغزاة، هنا استشهد الباسلون وكان لجيش الغزاة انتصار ونير علينا وطيد وكان على العرب إما الخضوع وإما النضال العنيد وبتنا نقاتل ليلاً نهاراً إلى أن بلغنا الأرب والاسم وفي أي يوم بالضبط حدث الفيضان.

مرة قال الفكر الأميركي (كارل بيكر): (لو حصل لنا نحن رجال الجامعة ورجال السياسة ورجال الدين والأدب، أن التقينا بشخص من زمن آخر، ما الذي سنسألهم عنه؟ بالتأكيد لن نضيع أوقاتنا في أسئلة عن الطقس أو عن هذا أو ذلك، السبب هو أنه لا يري ذلك هو تاريخ ما سوف نتطلع معرفته، ولن نترك السيف أو الأفتار وكيف يتصل الناس بالثقافة أو كيف تلامس الثقافات الفعل وأي الأفكار ومن مفكرة محمود درويش تختار د. العطار «الرفض

الصحاء، التوازن الدولي، إشكاليات الحقوق الثقافية، الضرورة الماسة لتعليم طبيعي، في موكب العلم وإشراقة الثقافة، حدود السياسة تتداخل مع الثقافة، المجد لك يا قائد الوطن، فلسطين أمس اليوم وغداً، حلب أيها البهية) ومن هذه العناوين والدراسات التي وردت يتضح لنا أن العمل الثقافي جرى على التأسيس لثقافة سورية متميزة، على الصعيد المحلي، ويظهر ذلك من خلال دمج مختلف عناصر الفعل الثقافي في العملية الناهضة الروبوية لثقافة مختلفة، وتمتية، وتعطي خصوصية لم تكن موجودة في الأصل، لذا ركزت د. العطار على الثقافة والعلم ومفاتيح التقدم وإشراق الثقافة وسوى ذلك من تجليات لا تفرق عن الثقافة ووعيتها، وعن السياسة وفعلها، ومن تحديد دقيق وواع للعلاقة مع المثقف تقول بوضوح لتضع المثقف أمام مسؤولياته «التعامل مع المثقفين لا من منطلق احتوائهم، كما يقال، بل من منطلق إطلاق الحرية لكل منهم، كي يعبر، في أرحب وأعرق أجواء الديمقراطية، عن رأيه ويجد الوسيلة الحاملة لهذا التعبير الحر، سواء في المشاركة الكاملة ولكل الرضى وكامل الخيار، في إنتاج العملية الثقافية، وكذلك في نشرها، مع احترام موقف هذا المثقف، إذا لم يرغب في الإسهام في هذه العملية، واكتفى بتوفير الوسيلة الضرورية له، لتمكنه من نشر نتاجه...»

أقف عند هذا الاقتباس لما فيه من أهمية، ومن تحديد لدور الثقافة، ونيل هذا الدور وخطورته، وما في الاقتباس يمثل رؤية د. العطار المثقفة، ويقدم رؤية مثالية للتعامل مع المثقف، فهل الأمر كذلك حقاً؟ وهل يتم التعامل مع المثقف بسياسة الاهتمام أو الاحتواء؟ أم إن السياسات أوصلت المثقف وإن كان حقيقياً إلى الرغبة في أن يحتوي؟

وللأدب مساحته الأدبية

وبالأساس الرفيع لغة وتساوياً لا تخلو دراسة من دراسات الدكتور نجاح العطار من دراسات أدبية خاصة تبلغ غايات نبيلة في التنال وال طرح والنتيجة، وفي أشعة الفجر عدد من الدراسات الأدبية الخاصة التي أقف عندها لعنفها ولغتها، ولتساوقها وانسجامها مع الفجر والأشعة والرؤية، منها: قراءة في مفكرات أدباء الأرض المحتلة.. وهذه الدراسة تنبع أهميتها من رؤية الكاتبة وفلسفتها للحالة الثورية عند الشعوب، وكيف يتم تتفاعل الأفكار والآراء بين الشعوب المناضلة على تتاعد المسافات والتوجهات والأيديولوجيات، وإن كانت تتفق، فإنها تتفق جميعاً في النظرة إلى الاحتلال وحق الشعوب في التحرر «الأمم الخلاق الذي يدفع إلى هذه المأثرة المجيدة هو الذي أنحنى له احتراماً، وأدعوك معي إلى انحناءة

التوازن الدولي، إشكاليات الحقوق الثقافية، الضرورة الماسة لتعليم طبيعي، في موكب العلم وإشراقة الثقافة، حدود السياسة تتداخل مع الثقافة، المجد لك يا قائد الوطن، فلسطين أمس اليوم وغداً، حلب أيها البهية) ومن هذه العناوين والدراسات التي وردت يتضح لنا أن العمل الثقافي جرى على التأسيس لثقافة سورية متميزة، على الصعيد المحلي، ويظهر ذلك من خلال دمج مختلف عناصر الفعل الثقافي في العملية الناهضة الروبوية لثقافة مختلفة، وتمتية، وتعطي خصوصية لم تكن موجودة في الأصل، لذا ركزت د. العطار على الثقافة والعلم ومفاتيح التقدم وإشراق الثقافة وسوى ذلك من تجليات لا تفرق عن الثقافة ووعيتها، وعن السياسة وفعلها، ومن تحديد دقيق وواع للعلاقة مع المثقف تقول بوضوح لتضع المثقف أمام مسؤولياته «التعامل مع المثقفين لا من منطلق احتوائهم، كما يقال، بل من منطلق إطلاق الحرية لكل منهم، كي يعبر، في أرحب وأعرق أجواء الديمقراطية، عن رأيه ويجد الوسيلة الحاملة لهذا التعبير الحر، سواء في المشاركة الكاملة ولكل الرضى وكامل الخيار، في إنتاج العملية الثقافية، وكذلك في نشرها، مع احترام موقف هذا المثقف، إذا لم يرغب في الإسهام في هذه العملية، واكتفى بتوفير الوسيلة الضرورية له، لتمكنه من نشر نتاجه...»

أقف عند هذا الاقتباس لما فيه من أهمية، ومن تحديد لدور الثقافة، ونيل هذا الدور وخطورته، وما في الاقتباس يمثل رؤية د. العطار المثقفة، ويقدم رؤية مثالية للتعامل مع المثقف، فهل الأمر كذلك حقاً؟ وهل يتم التعامل مع المثقف بسياسة الاهتمام أو الاحتواء؟ أم إن السياسات أوصلت المثقف وإن كان حقيقياً إلى الرغبة في أن يحتوي؟

الرؤى والواقع

ومن هنا من حق القارئ أن يسأل فيما إذا كانت الرؤى تتطابق مع الواقع أو تقترب منه، وهل يتم النظر إلى الثقافة كما طرح المثقف د. العطار المهومة بالثقافة وتفصيلها «الثقافة هي الضوء الذي ما بعده ضوء، سوى الضوء الإلهي وفيه تتظهر أسرار الكون، سرأ بعد سر، وفيه، أيضاً، عطاء بارز للإنسان المستحق، الساعي إلى المعرفة، سعياً إلى مرضاة الخالق، الذي علم بالعلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأفاه عليه بالنعمة، هذه التي تصبح في فضاءات الفهم والتفهم، نعيمات ولا أبهى» أمام رؤية جميلة ومقدرة للمثقف ودوره، وللثقافة

أشعة الانطلاق والغاية

لا نعتون الدكتورة العطار كتبها التي تصدرها بعناوين رائجة وجاذبة بقدر ما تبحث عن عناوين معبرة ومؤدية للرسالة الفكرية التي تريدها في هذا الكتاب أو ذاك، والكتاب الجديد الصادر يصدر وأشعة الفجر اليوم تلوح في الأفق، ومستقبل سورية بدأ بالظهور مرسوماً على أشعة وطنية أقسمت بالوطن وما فيه، وهي في الوقت نفسه رحلة ثقافة في عقود زادت على الخمسة تحاول رسم سياسة ثقافية فاعلة ومؤثرة وتأخذ دورها كما يجب أن تكون متجاوزة الواقع، وهي أشعة جاوزت الحديث عن مرحلة تتغنى بها، بل تأتي الأشعة تنويجاً في رحلة سورية الثقافية، وهي اليوم تأخذ رواستها التي وضعت لها قبل عقود، والتي أخذت مدى ودفعاً من القيادة، ولا تزال تحظى بدعم غير محدود بإيمان القيادة بالثقافة ودورها في التأسيس لمجتمع سوري وعربي فيه من الوعي والتميز الكثير، وخاصة في عناصر العنوان المختارة: الرؤى، الغد، الكلمة القادرة، الفتح المنهوج، فكيف عبرت فصول الكتاب ودراساته عن هذا العنوان المعبر والموحى؟

الثقافة السورية والأخر

بعد حقبة، وربما حقب تطاولت كانت فيها الثقافة السورية غائبة عن مسرح الأحداث الداخلية والعربية والإقليمية، جرى العمل الحديث على إنتاج عملية من التواصل الثقافي المثر، لرفع مستوى الفعل الثقافي داخلياً، وهو الأكثر أهمية، ومن ثم التفاعل مع المحيطين العربي والعالمى، وكان ذلك وفق خطط مدرسة، والدراسات المجموعة في كتب سابقة للدكتورة العطار، وفي هذا الكتاب تظهر رسالة الثقافة كما أريد لها (الثقافة هي الحاجة العليا للبشرية، السمكة والتماسيح، على اسم المدينة المحررة، سورية والمقاومة، عندما تنتفض الأرض، إنهم يقتلون الأبطال، ليصنعوا ما شاؤوا، كلمات وداع، تحية لمؤتمر اتحاد الكتاب، المراكز الثقافية ليست بنى فوقية، التبادل الثقافي سبيل إلى امتلاك المعرفة، الثقافة هي المنبر الرفيع، المكان الأمل على جبهة الفتح، غاندي الأندلس، أهمية الصحافة بالنسبة للثقافة، العمل الأشرفي، نهرو، حصاره كل بلد هي كنهه ومجده، تحية للسيدة كاسترو، الثقافة والمثقفون، المجد للكتاب، الثقافة أحد خيوط نسجينا القومي، تواصل مفتوح للأفق، سر خلود أمتنا، فهم أرحب وتقارب أكبر، رجل ثقافة وفكر، سورية منبع حضارات العالم، الصداقة مع الاتحاد السوفيتي، إنجازات إستراتيجية، الثقافة مفهوماً وحواراً، قراءة حول قراءة في كتاب الأمير، مشاركة العرب الجليلة، منظور لا حد لمداء، تحية إلى العمال، القومية والوحدة واللغة، الثقافة وحدها تمتلك مفاتيح التقدم، الثقافة في عاصمة الثقافة، المحبة والساحة، من أجل حماية الانتفاضة، المجد الثابت على راحة

د. رحيم هادي الشحبي

يوماً قال مفكر يشغل جوهراً الأحداث، فهي بالنسبة له موضوعات للتأمل كما هي لإعادة التفكير، هذا الرجل قال (اسمحو لي أن أقول كل إنسان مؤرخ) وهذا يعني أن الفرد مثلما يفهرس التاريخ وتحولاته في ذاكرته أو ضمن ثقافته، هو يسهم لما سيجد أو خاص لها، فالتاريخ الذي كان يبدد الرواة واللاهوتيين، كان الراوي يريده لما يحتاج ويمتني فكل له صورة لعالم الحدث، وله حكمه لكن التاريخ في القرن الثامن عشر صار أداة لأغراض الفلاسفة، صار متابعاً جو ثقافي لتحولات المثال، واليوم ما عدنا نفتتح بأن نفهمه نظاماً لتعاقب الأشياء في الزمان.

التاريخ بالنسبة للمثقف غيره بالنسبة للقارئ

مبدع الأدب كيف يقرأ التاريخ؟

كانت وراء تلك الأحداث وحال الإنسانية آنذاك، إن ما نزيدة نحن المثقفين من دراسة التاريخ هو محنة الإنسان ومدى سلامة الجوهر وانكسارات، أو انتصارات القيم التي تؤسس أو تبقى حضارة، ما الذي سبغها الفاعل، واطلاعه العميق، ولغتها المشرقة التي تصل حدأ لا يداني لغة وبلاغة وبيانا... والحقيقة المنشودة غاية البيان بكل ما يجوي من إشراف... دام القلم الكلمة وإشراق اللغة.

الأرض، قد يكون هناك اختلاف في دور المثقف في صناعة التاريخ، لكن المؤكد أن المؤرخ الحديث في الجانب الثاني لا يستطيع أن يفعل شيئاً آخر، ثمة ملاحظات أخرى هي أن الجيو الفكري لزمن الحدث هو ما يفتننا لفهمه وأيضاً للنضيف نضجاً لمعارفنا، هذه هي عناية المثقف المشتغل بالأدب والفن، حاجته إلى الأجزاء الفكرية أكثر من حاجته لعدد القتلى والاسم وفي أي يوم بالضبط حدث الفيضان. مرة قال الفكر الأميركي (كارل بيكر): (لو حصل لنا نحن رجال الجامعة ورجال السياسة ورجال الدين والأدب، أن التقينا بشخص من زمن آخر، ما الذي سنسألهم عنه؟ بالتأكيد لن نضيع أوقاتنا في أسئلة عن الطقس أو عن هذا أو ذلك، السبب هو أنه لا يري ذلك هو تاريخ ما سوف نتطلع معرفته، ولن نترك السيف أو الأفتار وكيف يتصل الناس بالثقافة أو كيف تلامس الثقافات الفعل وأي الأفكار

العادي، مثلما هو موضوع تخصص قائم، هو اليوم منهج بحث، فنحن نزيد التاريخ لغات وتاريخ آداب ونظماً اجتماعية وهو أيضاً منهج كتابة الاقتصاد والحب والجريمة، مع التاريخ طريق معرفة، حضرت العلوم الطبيعية فأثقت الحقائق العقلية وبدأ زمن تفحص الحقائق بحثاً عن حقيقة الإنسان، الجيو الفكري في زماننا منحه الواقعية توازناً لم يكن ليملكه لولاها وازنوجت النظرة، كما هي من علم وفلسفة حصيلة ثقافة وخبرة، لم يعد التاريخ كما قال فولتير (هو حاصل احتيال الأحياء على الموتى)، وإذا كانت لهذه السخرية لسة جدوى فهي يمكن أن تشير إلى ضياع حقيقة الوعي الخاص لسلسلة غير مرتبة ضائعة من العقود الممتازة، بين آراء اللاهوتيين وأصحاب الفكر الغيبي في صناعة أو تقدير الأحداث، وبين

الطرف الآخر الذي عزا كل ما نراه من أنظمة وما كان من أحداث إلى صراع الطبقات، فلا كبير اهتمام بانتشار النور والطوية الحسنة، ومن هذا اللاامتناع خسارتنا كما هي خسارة المنتهيين التنويريين من قبل. إن أحداً لم يتوقف كثيراً عند أن الثورة الفرنسية أوجعت لجنة مؤتمنين ليس للمفكرين أو الفلاسفة دور مهم فيها، وإن الثورة الروسية أقامت مثلها مجلس إنهاء، لا مجلس مفكرين، ما يعيننا من هذا هو صناعة التاريخ وفهمه، الفهم سيظل من بعد الثقافة، لا دروساً وكتباً ولكن حاجة فردية لتروية العالم، يستوي هذا الشاعر والرسام والروائي، وهنا الحاجة أكبر، فلا رواية مهمة بلا أفق إنساني وفهم حياة، هو أفق استناره لكل الفنون غير معنيين بالكتاب الاعتياديين أو الفنانين الثوميين الذين لا تعنيهم حقيقة الإنسانية ولا الإنسانية في